

## برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الثالثة والعشرون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلميه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين المسيحيين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. ثم تحدث عن الفرق الكبير بين عهدي الناموس والنعمة. وتحدث أيضاً عن عثرة الصليب بالنسبة لليهود.

وكنا قد بدأنا قبل ثلاثة لقاءات بالإجابة عن التساؤلات حول حقيقة صلب المسيح فتحدثنا عن ستة براهين. البرهان الأول نبوءات العهد القديم التي تمت بحذافيرها. البرهان الثاني أن المسيح نفسه أخبر تلاميذه أنه سيُصلب. البرهان الثالث أن بشائر الإنجيل الأربع دونت لنا بالتفصيل عن حادثة الصلب وما رافقها. إذ أظلمت الشمس وحلت الظلمة وانشق حجاب الهيكل، وقال المسيح قد أكمل، أي أكمل عمل الفداء الذي أتى من أجله. البرهان الرابع أن الرسل الأوائل بشرّوا بصلب المسيح وموته وقيامته. البرهان الخامس تأكيد المؤرخين من يهود ويونانيين لحادثة الصلب. أما البرهان السادس والأخير فهو شعار الصليب الذي رفعه المسيحيون.

لكن قد يقول قائل: ما هو دليلكم أن الله لم ينقذ المسيح بطريقة ما من أيدي أعدائه؟ أو أنه لم يرفعه حياً إلى السماء قبل موته؟ وهل من المعقول أن يسمح الله تعالى بأن يموت المسيح صلباً وهو الذي ولد من روحه القدس؟ للإجابة عن هذه التساؤلات نقول: لو فرضنا أن الله أراد إنقاذ المسيح، لكان أنقذه بوسيلة علنية تجعل أعدائه يعرفون عظمته وقدرته وسلطانه المطلق عليهم، وليس خفية أو بطرق ملتوية وهو ما يلجأ إليه الضعيف. فعندما أتى يهوذا تلميذ المسيح الخائن، مع جمع كبير من اليهود بسيف وعصي من عند رؤساء الكهنة اليهود للقبض على المسيح، حاول أحد تلاميذه الدفاع عنه، فاستل سيفاً وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له المسيح: "ردّ سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون. أتظن أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة، فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون." (بشارة متى ٢٦: ٥٢-٥٤) يبدو

واضحاً من كلام المسيح أنه لو أراد الله الآب إنفاذه من أعدائه اليهود، لكان أنقذه بكل سهولة، بأن أرسل ليس جيشاً واحداً بل جيوشاً من الملائكة. لكن خطة الله كانت تقضي بأن يموت المسيح على الصليب.

أما القول أن الله رفع المسيح حياً إلى السماء قبل موته، فهو إدعاء تنفيه كل البراهين والأدلة. ولنا في حوادث ظهور المسيح لتلاميذه بعد قيامته أكبر دليل. إذ أكد لهم المسيح أنه قد صُلب ومات وقام حياً. ففي مساء يوم قيامة المسيح أي يوم الأحد، كانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، فجاء المسيح ووقف في الوسط وقال لهم: سلام لكم. ثم أراهم يديه المتقويتين وجنبه المطعون. وعندها فرح التلاميذ إذ رأوا الرب يسوع المسيح حياً. وهو الذي شاهدوه معلقاً على الصليب وقد مات ودُفن.

أما التلميذ توما فلم يكن معهم ذلك المساء. وعندما أخبره التلاميذ أنهم رأوا المسيح قال لهم: "إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن." (بشارة يوحنا ٢٠: ٢٥) أي أراد توما التأكد أن الشخص الذي رآه التلاميذ هو نفسه المسيح الذي عُلق على الصليب. وبعد ثمانية أيام كان التلاميذ مجتمعين وتوما معهم. فجاء المسيح والأبواب مغلقة ووقف في الوسط. ثم قال لتوما: "هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدي وهات يدك وضعها في جنبتي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً." (بشارة يوحنا ٢٠: ٢٧) فماذا كان جواب توما أمام هذا المشهد العجيب ومعرفة المسيح لتساؤلاته وأفكاره؟ "أجاب توما وقال له: ربي وإلهي. قال له يسوع المسيح: لأنك رأيتني يا توما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا." (بشارة يوحنا ٢٠: ٢٨) هل هناك برهان أوضح ودليل أعمق، على أن المسيح لم يرفعه الله حياً إلى السماء قبل صلبه وموته؟ فهذا هو المسيح نفسه يدعو تلميذه توما لكي يأتي بأصبعه ويلمس يديه المتقويتين، ويضع يده في جنبه المطعون. وعندها لم يسع توما إلا أن يصرخ قائلاً: ربي وإلهي. أي آمن أن الشخص الذي رآه هو المسيح نفسه الذي مات على الصليب ودُفن ثم قام حياً.

وماذا عنك صديقي المستمع ألا تزال تشك بحقيقة صلب المسيح وقيامته؟ أم تراك تؤمن بهذا المخلص الفريد الذي مات على الصليب وقام من بين الأموات، لكي يرفع خطاياك فتتال الغفران والحياة الأبدية؟ وتكون لك البركة الحقيقية بحسب قول المسيح: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا."

نأتي الآن إلى التساؤل الأخير القائل: هل من المعقول أن يسمح الله تعالى بأن يموت المسيح صلباً وهو الذي ولد من روحه القدوس؟ قد يبدو هذا التساؤل منطقياً ومعقولاً من الناحية البشرية. لكن علينا أن لا نتجاهل أن حادثة صلب المسيح تنطلق من فكرة جوهرية هي في أساس المسيحية، ألا وهي فكرة الفداء والكفارة، والتي أعلنها الكتاب المقدس من خلال أسفاره جميعاً وبكل وضوح.

لو عدنا إلى العهد القديم من الكتاب المقدس، لوجدنا أن فكرة الفداء والكفارة كانت هي في أساس تعامل الله مع الإنسان. ولهذا طلب الله من الإنسان منذ بدء الخليقة بأن يقدم الذبائح الحيوانية للتكفير عن خطاياهم. ثم طلب الله من العبرانيين قديماً في الشريعة التي أنزلها على كليمه النبي موسى، طلب منهم أن يقدموا الذبائح الحيوانية للتكفير عن ذنوبهم. أي كانت هذه الذبائح هي الفدية التي يُسفك دمها نيابة عن الإنسان. لكن هذه الذبائح الحيوانية لم تكن سوى رمز لذبيحة المسيح الحقيقية. ولهذا تنبأ النبي إشعياء عن موت المسيح قائلاً: كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها. وأنه سيكون ذبيحة إثم، ويحمل خطايا كثيرين. ولهذا أيضاً هتف النبي يحيى يوحنا المعمدان عندما رأى المسيح مقبلاً إليه ليعتمد بالماء، هتف قائلاً: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم." (بشارة يوحنا ١: ٢٩) فصلب المسيح إذن هو الذبيحة التي أعدّها الله للتكفير عن ذنوبنا.

صديقي المستمع، إن الله هو إله عادل وقدس، ونحن في المقابل أناس خطاة. وعدالة الله وقداسته تقضيان بإدانتنا نحن البشر الخطاة. لكن الله هو أيضاً الإله المحب، ولهذا دبّر وسيلة لكي ينقذنا بواسطتها من عقابه العادل. وهذه الوسيلة هي الكفارة أو الذبيحة التي أعدّها الله للتكفير عن ذنوبنا. نعم، لقد أرسل الله الأب كلمته الأزلي المخلص المسيح لغرض فدائنا، أي لكي يموت على الصليب آخذاً القصاص عوضاً عنا. ولهذا كتب الرسول بولس هذه الآية المقدسة: "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا." (الرسالة إلى رومية ٥: ٨) فهل تُراك تتجاوب صديقي مع محبة الله هذه، فتؤمن بفداء المسيح وكفارته على الصليب من أجلك؟